**محاضرات الادب**

**مدرسة الديوان**

اللغة والنحو

اللغة:-اداة الفن الشعري ووسيلة إبرازه وتمثل دوراً رئيساً في نقل التجربة الشعورية الانسانية وتوصيلها وبقدر ما يكون الشاعر على مستوى من إجادة اللغة والثروة اللغوية وبقدر ما يملك من حاسة لغوية دقيقة تجعله يقف على الالفاظ الموحية الضرورية بل المناسبة لعمله الشعري يكون بإمكانه خلق الجو الايحائي المعبر عن التجربة الشعورية بلغة تجعل المتلقي يعيش المعادلة الشعرية نفسها التي كابدها الشاعر في عملية الخلق والابداع الفني، إذ ان مهمة الشاعر ان يجعل القارئ يعيش الموقف الشعري الذي مرّ فيه( ). لذلك فلغة الشعر أقدر على مدّنا بالصورة الشعرية التي تُنقل الفكرةُ بوساطتها الى حيز الكلم( ).ولعل الزهاوي أول من اشار الى اللغة وضرورة ملائمتها للفن الشعري الجديد ولكن تلك الاشارة كانت دعوة اصلاحية لواقع لم يعد يلائم الزمن الجديد( ) فقال:- ((وما يؤسفني شيء كعناية الشعراء باللفظ اكثر من عنايتهم بالمعنى الذي صيغ اللفظ لأجله فالمعنى هو الجسد واللفظ لباسه))( ) ونرى ان قول الزهاوي هذا مستمد من النظرة النقدية العربية القديمة بصدد الالفاظ والمعاني إذ يرون أن الالفاظ أوعية المعاني( ). ودعا الزهاوي في شعره الى الاهتمام باللفظ لكن اهتمامه لم يكن على حساب المعنى بل ساوى بينهما فقال:-

إذا ما نظمت الشعر فانظم مصوراً شعورك واستعمل من اللفظ أرضاه

ففي الشعر للمعنى الى اللفظ حاجة إذا اختل لفظ الشعر يختل معناه

وقال:-

ارى اللفظ للمعنى من اللغو حافظاً فإن لم يصح اللفظ لم يحصل الحفُظُ

يقولون:- للمعنى عن اللفظ غَنية وهل يصلح المعنى إذا فسد اللفظ؟( )

ويرى ان احسن الشعر ما كان لفظه سلساً جزلاً متين التركيب ليس فيه كلمة يؤتى بها للوزن وما كانت قوافيه متمكنة ( ) وبعد أن أصاب اللغة العربية والنحو العربي تهتك واهمل بعض المتأدبين سلامة العبارة ويسجل الزهاوي احتجاجه بوجوب احترام الشاعر العربي نحو لغته كما يحترمها الشاعر الغربي( ) فيقول:- ((ولا يسوّع للشاعر العربي مخالفة قواعد اللغة فإن الأعراب دليل المعاني كما لا يخالف الشاعر الغربي قواعد لغته))( ) لكنه يتساهل في أمر اللغة بحيث ان الشاعر الفحل يمكنه توليد الألفاظ فيقول:- ((وللشاعر الفحل ان يولد في اللغة إذا مسّت الحاجة كلمات لم يأتِ بها من جاء قبله فتغنى بذلك اللغة واللغة التي لا يتولد فيها كل سنة عدد من الكلمات ولا يموت كذلك عدد هي ميتة))( ) ولعل تنبيه الزهاوي إلى مراعاة سلامة العبارة قد انطلق من وقوع بعض الشعراء المحدثين في اخطاء لغوية ونحوية فأكد ذلك تجنباً للوقوع في مثل هذه الاخطاء( ).

أما بصدد توليد الالفاظ التي اشار اليها فتبدو واضحة من خلال ابدال بعض الفاظ قصائده بأخرى منسجمة مع طبيعة الظرف بحيث يكون لها وقع شديد التأثير في متلقيه( ) وينظر الزهاوي إلى لغة الشعر الحديث قائلاً:- ((وشعره هذا هو رسالة نفسه إلى نفوس ابناء شعبه فلا مندوحة له في ارسالها باللغة التي يتفاهم بها الشعب الذي هو أحده مع مراعاة منازع تلك اللغة واسلوبها واختيار افصح الفاظها وابلغ جملها ليولد شعره في اذهان سامعيه شعوراً مثل شعوره وأما ما زاد على شعوره من الالفاظ او نقص فإنه ينقل معه إلى السامعين تلك الزيادة وذلك النقصان فلا يسلم شعورهم منها والمعاني الشعرية دقيقة في الغالب لا تشبه بقية المعاني فلا تقدر أن تعبر عنها إلاّ لغة أهلها التي قد تولدت لتعرب عن خفايا قلوبهم))( ). ومذهب الزهاوي في اللغة الجديدة هو جواز استعمال كل كلمة شاعت في الصحف الراقية بقلم كبار الكتاب( ).

أما بصدد الفصيحة والعامية فقد كان الزهاوي من أوائل العراقيين الذين التفتوا إلى ذلك وكتب مقالة تحت عنوان (لغة الكتابة ووجوب اتحادها باللغة المحكية)( ) يفهم منها الدعوة إلى تهذيب العامية واتخاذها لغة الكتابة ولعله تأثر بالدعوات التي نادى بها السوريون واللبنانيون الذين هاجروا الى المهاجر الأمريكية كجبران وميخائيل نعيمة وآخرون( ). لكنه تراجع عن هذه الدعوة وبطلان هذا الرأي الذي يجعل الفصيحة أثرية كاللاتينية ويؤدي إلى تمزيق الأمة العربية ويقول في معرض الرد على أ.خالد:- ((والعجب كل العجب من دعواه أن

قواعد الصرف والنحو حائلة دون نهضة الأدب العربي نهضة صحيحة ولا أدري أيريد رفعها ورفع القواعد لجعل الناس فوضى في التعبير فيزول التفاهم في اللغة الفصحى وتموت العربية أم هو يتمنى اصلاحها وتسهيلها لتعمّ الكتابة جميع أفراد الشعب؟ فإذا كان مراده هذا فنعم ما أراد وكان عليه ان يقول:- (قواعد الصرف والنحو حائلة في شكلها العويص دون نهضة الأدب) فلا يحكم على حيلولة القواعد نفسها دون النهضة ))( ).

ونرى أن الزهاوي في وجهة النظر هذه كان متأثراً برد العقاد على جماعة المهاجر الأمريكية في كتابهم (الغربال) إذ قال العقاد:- ((فرأيي أن الكتابة الأدبية فن، والفن لا يكتفى فيه بالإفادة …وعندي أن الأديب في حلٍ من الخطأ في بعض الأحيان ولكن على شرط أن يكون الخطأ خيراً واجمل وأوفى من الصواب، وان مجاراة التطور فريضة وفضيلة ولكن يجب ان نذكر ان اللغة لم تخلق اليوم فنخلق قواعدها واصولها في طريقنا وان التطور انما يكون في اللغات التي ليس لها ماضٍ وقواعد واصول ومتى وجدت القواعد والاصول فلماذا نهملها أو نخالفها إلاّ لضرورة قاسرة لا مناصَ منها))( ). وفي دعوته الى الحفاظ على اللغة العربية بنحوها وصرفها وقواعدها ونبذ اللغة العامية نجد أن مردّه في ذلك الى كون اللغة الفصيحة قادرة على التعبير وهي لغة عصرية ووسيلة للتفاهم ولا يمكن للعامية ان تصلح لغة التعبير لاختلاف اللهجات بين ابناء الوطن الواحد ناهيك عن تعدد اللهجات ضمن البلد الواحد.

واخيراً يمكن ان نختم مبحث الشكل عند الزهاوي بقولنا ان الزهاوي من الداعين الى التجديد الشعري في العـراق وان لـم يطبـق ذلك على شعره بشكل واضح وصريح لكن دعوته الى التجديد بمثابة السراج الذي اهتدى بنوره رواد حركة الشعر الحر فهو من بين الممهدين الأول لحركة تحرير الشعر الحديث في العراق وبخاصة (القافية) واباح للشاعر ان ينظم على أي وزن يشاء لذلك لاقت هذه الحركة صدى وتجاوباً في أواخر الأربعينيات على أيدي نازك الملائكة وبدر شاكر السيّاب.